رمزية المقدسات الإسلامية في الرواية الجزائرية

The symbolism of Islamic holies in the Algerian novel

د. نور الدين بن نعيجة[1]

[1]مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة الأغواط (الجزائر)، n.benaidja@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/08/04 تاريخ القبول: 2021/10/23 تاريخ النشر: 2021/12/20

ملخص:

تعتبر الأمكنة الدينية بصفة عامة والمقدسة بصفة خاصة من الأمكنة المهمة في أي عمل سردي لما تمتلكه من سحر المكان وعبق السكينة والاطمئنان، تشدّ عبرها القارئ إلى عوالم دفينة تخرجه من الحياة المادية وكدرها إلى عوالم الروحانية وصفائها، من هذا المنطلق تسعى هذه الروقة البحثية إلى دراسة رمزية الأمكنة الدينية في الرواية الجزائرية خصوصاً المقدسات الاسلامية ک الحرمين الشريفين والقدس الشريف،معتمدين في ذلك على روايتين هما: رواية "لبيك حج الفقراء لـ "مالك بن نبي"، ورواية "سوناتا لأشباح القدس" لـ "واسيني الأعرج".

كلمات مفتاحية: الرواية الجزائرية؛ المكان؛ مالك بن نبي؛ واسيني الأعرج؛ مكة؛ القدس

Abstract:

Religious places are one of the important places in any narrative work, because of their deep semantics influencing on the psychology of recipient. Specially if those places are among Islamic sanctities such as the holy Al-Haramain Al-Sharifain and Al-Quds Al-Sharif. Hence in the frame of the international seminar of the religious tourism, and their ways of activating, organized in the National Center of the Research in the Islamic Sciences and Civilization, in Laghouat, Algeria, this paper seeks to study the symbolism of these places in the Algerian novels, and how they relate to the reality of the individual and society. Therefore we rely on two novels; MalekBennabi's novel, named "Lebbeik: the Pilgrimage of the Poor", also " sonata for El Quds ghosts " of wasini AL Araj.

Keywords: Algerian novel; place, MalekBennabi; wasini AL Araj; Mecca; Quds

المؤلف المرسل: نور الدين بن نعيجة، **الإيميل:** n.benaidja@gmail.com

مقدمة:

تعتبر الأمكنة السردية من المكونات الأساسية لتشكيل أي رواية فنية، لأن الرواية هي الإنسان، والإنسان هو المجتمع، والمجتمع يتفاعل في فضاء يتحرك فيه، فقد كان لا بدّ لهذا الفضاء، أن يحتل المكانة الأساسية في نفس الإنسان، باعتباره المشهود والشاهد على كلّ الحركات الاجتماعية والإنسانية، سواء بين الإنسان وذاته، أو بين الإنسان وبقية أفراد المجتمع. لذا نجد أغلب الدراسات الروائية تهتم بعنصر الفضاء أو المكان وتعطيه الحيّز الكبير في المتن الحكائيليس باعتباره مكاناً جامداً وإنما مكان مشحون بدلالاتٍ ورموزٍ تعبّر عن الحالة الداخلية للنفس.

ولأنّ الأدب هو المعبر عن خلجات النفس الإنسانية وما يعتريها من هموم وصراع مع الحياة، فقد كان للمكان الأثر الكبير في نفسية الشعراء والأدباء منذ القديم، حيث كان الشاعر العربي يستهل قصيدته بالوقوف على الأطلال فيصف المكان ومراحل الطريق وأماكن الذّكريات لما في نفسه من أثرٍ للمكان قبل أن يدخل في موضوع قصيدته، كما نجد في متون قصائدهم ذكر لأمكنة متعدّدة، وقد أسرفوا في وصفها إلى حدّ تجاوزهم تخوم الوصف المادي لها ودخولهم معترك الرمزية فيه، وأصبح ذكر المكان بصفة عامة والأطلال بصفة خاصة ليس من أجل الوصف، وإنّما للترميز والدلالة على ما يحدِثه من أثرٍ نفسيٍّ ووجدانيٍّ في نفسية الشاعر.

إنّ التوظيف الرمزي لتلك للأمكنة من قبل القدماء، جعل من المحدثين، والمعاصرين الغربيين –الذين سبقونا في هذا المجال– يطوّرون هذا المفهوم، ليُفسح له المجال في الرواية كونها الفضاء الأوسع والأرحب للتخييل، فأصبحت الأمكنة تسبح في عالم الرواية تعبر عن ذواتنا وما يعتريها من إحساسات داخلية ومن ذكريات بقيت مرتسمة عليها وعلى تلك الفضاءات الاجتماعية التّي تشهد على ذلك التفاعل الإنساني بين أفراد المجتمع، فتسجل نجاحاته وإخفاقاته وتدونها حتى "يبدو المكان كما لو كان خزاناً حقيقياً للأفكار والمشاعر والحدوس، حيث تنشأ بين الإنسان والمكان علاقة متبادلة يؤثر فيها كلّ طرف على الآخر"(بحراوي، 2009، صفحة 31). فالإنسان لم يتعامل مع الأمكنة كحيّز مكاني يعيش فيه، وإنّما اعتبرها كجزءً من الذّات والتاريخ تحمل في طياتها سجلّه الكامل في الحياة.

إنّ المكان في الرواية هو المكان المعاش بكل حمولاته العاطفية والوجدانية ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون مكاناً جامداً ليس ذو بال أو دلالة، فهو الشاهد على أحوال أفراده والملازم لأحاسيسهم والكاتم لأسرارهم، تسعى الرواية جاهدة لأن تجعل من تلك الأمكنة محفزاً للبوح عن دواخل

النفس وما يعتريها من خلجات.هذا عن المكان بصفة عامة، فما بالك بالأمكنة عندما تكون لها دلالة تاريخية روحانية دينية، فهي تبقى في ذاكرة الإنسان معلّقة بالوجدان والحنين والشوق وأمل الإتيان، ينجذب نحوها القارئ، ويعيش في رحاب جوّها الروحاني فتأسره تلك الأمكنة وتشدّه إليها لما لها من مكانة في النفس.

من هذا المنطلق نسعى في هذه المداخلة إلى التركيز على دراسة الأمكنة الدينية في الرواية الجزائرية وما قد تحدثه من أثر في المتلقي، وكيفية توظيف تلك الأمكنة.

ومن أجل بلوغ تلك الغايات قسمنا بحثنا إلى قسمين قسم نظري تناولنا فيه الأمكنة السردية (المفهوم والمصطلح)، والقسم الثاني تناولنا فيه الجانب التطبيقي بدراسة رمزية المقدسات الإسلامية في الرواية الجزائرية وقد نحصر تلك المقدسات في الحرمين الشريفين وبيت المقدس باعتبارهما من أكبر المقدسات الإسلامية وذلك بالاعتماد على روايتين جزائريتين هما: رواية "لبيك حج الفقراء لـ "مالك بن نبي"، ورواية "سوناتا لأشباح القدس" لـ "واسيني الأعرج".

1-الأمكنة السردية (المفهوم والمصطلح)

إنّ المتتبع لمجال الرواية بالنقد والتحليل، يلاحظ ذلك الاهتمام الكبير للدارسين، واشتغالهم الدائم بعنصر المكان، كون هذا الأخير يعتبر منذ القديم محلّ اهتمام الإنسان عامة والعربي خاصة، فبالعودة إلى كتب الفلسفة التّي اهتمت على امتداد التاريخ بالفكر البشري بوجه عام نجد بواكير نشأة المصطلح مع الفلسفة اليونانية فكان أول من استعمل المكان كمصطلح فلسفي هو "أفلاطون"(Plato)، ثم عرّفه تلميذه أرسطو (Aristote)، غير أنّ الدراسات الفلسفية القديمة اهتمت بالمكان مثلما اهتمت بالزمان كونهما يمثلان الموضع والحركة، غير أن اهتمامهم بهذا العنصر كان اهتماما فيزيقياً لا اهتماما فنياً.

وإذا ما أردنا أن ننتقل إلى المكان "الفني" وتعريفه خصوصاً في الدراسات الأدبية الحديثة نجد تعاريف متعددة وأنواع مختلفة للأمكنة بالإضافة إلى وجود تضارب في المصطلحات المستعملة في النقد الأدبي عامة والروائي خاصة، إذ نجد "النقاد الكلاسيكيين في اللغات الثلاث اكتفوا باستخدام كلمة "المكان/Lieu/Place" للدلالة على كلّ أنواع المكان حيث لم يكن معنى الفراغ بمفهومه الحديث قد نشأ بعد، وبينما ضاق الفرنسيون بمحدودية "كلمة Lieu" (الموقع) فبدأوا في استخدام "كلمة Espace" (فراغ) لم يرض نقاد الانجليزية عن اتساع "Space/Place" (مكان/فراغ) وأضافوا

استخدام "كلمة Location" (بقعة) للتعبير عن المكان المحدّد لوقوع الحدث، وبذلك نجد أنّ النقاد المحدثين يستخدمون ما يقابل كلمة الموقع (والمكان/الفراغ) للتعبير عن مستويين مختلفين للبعد المكاني: أحدهما محدّد، ويتركّز فيه مكان وقوع الحدث، والآخر أكثر اتساعاً، ويعبّر عن الفراغ المتسع الذي تتكثّف فيه أحداث الرواية"(قاسم، دس، صفحة 105).

أما في الدراسات العربية نجد أنّ النقاد العرب اهتموا كغيرهم من النقاد الغربيين بعنصر المكان، باعتباره يمثل "مكوّناً محورياً في بنية السرد، لا يمكن تصوّر حكاية بدون مكان، ولا وجود لأحداث خارج المكان، ذلك أنّ كلّ حدث يأخذ وجوده في مكان محدّد، وزمان معين"(بوعزة، 2010، صفحة 99)، ومن هنا بدأت الدراسات العربية تنحو منحى الدراسات الغربية في الاهتمام بهذا العنصر الروائي "ولعل دراسات «غالب هلسا» للرواية العربية، هي أولى الدراسات التّي اهتمت بالمكان، باعتباره عنصراً حكائياً مهماً في الرواية"(عزام، 1996، صفحة 111)، وذلك بعد تأثره بالنقاد الغربيين، وترجمته لكتاب "جماليات المكان" لـ «غاستون باشلار». وبعدها بدأ النقاد العرب بالاهتمام بالمكان كعنصر أساسي في المادة الحكائية، غير أنّهم اصطدموا بذلك التضارب في مفهوم المكان –الذي أشرنا إليه سابقاً– ضف إلى ذلك إشكالية ترجمة المصطلحات، حيث نجد مصطلح المكان عند «عبد المالك مرتاض» هو "الحيز"، ويقول في هذا الصدد: "لقد خضنا في أمر هذا المفهوم وأطلقنا عليه مصطلح الحيّز مقابلا للمصطلحين الفرنسي، والإنجليزي (Espace , Space)، (...) ولعل ما يمكن إعادة ذكره هنا أنّ مصطلح الفضاء من الضرورة أن يكون معناه جارياً في الخواء والفراغ، وبينما الحيّز لدينا ينصرف استعماله النتوء، والوزن، والثقل، والحجم، والشكل...، على حين أنّ المكان نريد أن ننقله في العمل الروائي على مفهوم الحيّز الجغرافي وحده"(مرتاض، 1998، صفحة 121). وهنا نجد تأثّر «عبد المالك مرتاض» واضحاً بالنقاد الغربيين عندما فرّقوا بين المكان الخواء، وبين المكان الممتلئ، فأطلق مصطلح "الحيّز"، باعتباره مكاناً غير خال، وعلى الخواء مصطلح الفضاء.

في نفس السياق نجد «حميد الحمداني» يقول: "إن مجموع هذه الأمكنة هو ما يبدو منطقياً أن نطلق عليه اسم فضاء الرواية، لأنّ الفضاء أشمل وأوسع من معنى المكان، والمكان بهذا المعنى هو مكوّن الفضاء، وما دامت الأمكنة في الروايات غالبا ما تكون متعدّدة، ومتفاوتة، فإنّ فضاء الرواية هو الذي يلفّها جميعاً، أنّه العالم الواسع الذي يشمل مجموع الأحداث الروائية."(لحميداني، 1991، صفحة 64)، فـ «حميد الحمداني» يرى بشمولية مصطلح الفضاء على مصطلح المكان الذي قد يعبّر عن حيّزٍ ضيقٍ في

الرواية. والحقيقة أن النقاد العرب قد خاضوا في هذه المسألة، واختلفوا كثيرا في وضع المصطلح المناسب للمكان في الرواية، إلى حدّ اتهام بعضهم لبعض بالجناية في وضع المصطلحات.

2-رمزية المقدسات الإسلامية في الرواية الجزائرية

تعتبر المقدسات الإسلامية أمكنة دينية في مفهومها العام، لكن المتتبّع للواقع الإسلامي يجد فيها من الروحانية ما يجعل الفرد متعلّق بها كل التعلق باعتبارها أمكنة قدّسها الله عزّ وجل وأعطى لها من الحرمة ما يجعل القلوب تنفطر إليها في كل زمان ومكان. وعندما نتكلم عن المقدسات الإسلامية فنحن نخصّ بالذكر هنا الحرمين الشريفين "مكة المكرمةوالمدينة المنورة"، و"القدس الشريف" باعتباره أول القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، محاولين بذلك التطرق إلى كيفية توظيف هاذين مكانين في المتن الحكائي الجزائري المعاصر معتمدين في هذا العنصر على روايتين هما "لبيك حج الفقراء لـ "مالك بن نبي، ورواية ""سوناتا لأشباح القدس" لـ "واسيني الأعرج"

2-1 مكة والمدينة الفضاء المأمول في رواية "لبيك حج الفقراء لـ "مالك بن نبي":

يعتبر مالك بن نبي من أعلام الفكر الإسلامي في القرن العشرين، وأحد رُوّاد النهضة الفكرية الإسلامية، والمتتبع لأعماله الكبرى، يجد من ضمنها رواية يتيمة هي "رواية لبيك حج الفقراء" والتي – حسب رأينا- لم تدرس دراسة كافية ومستوفية، تليق بكاتبها.

وإذا ما نظرنا إلى طبيعة الرواية نجدها من الحجم الصغير وقد جاءت حسب مصدّر الرواية: "جاءت قصة "لبيك" هي نداء البداية والنهاية معاً، وقد استخلصها بن نبي من روح عفوية الشعب الجزائري والفقراء، إذ يرى فيهم المنهل الصافي لماء الحياة الحضارية الإنسانية، لذا فـ "لبيك" نموذج الفطرة في "آفلو" في الجزائر، وصفاء شبكة العلاقات الانسانية في عفويتها، كما قصها لنا في شهادته وكما هي نموذج روح حجاج إفريقية حين تقودهم لبيك رجالاً مشاة إلى مكة في هجير الصحراء في اشتياق واحد مع دمع سكان المدن إلى حج العام القادم."(مسقاوي، 2017، صفحة 13).

وتروي لنا رواية "لبيك حج الفقراء" قصة شاب "ابراهيم الفحام" وتحوّله من سكير منبوذ في المجتمع إلى رجل صالح يقصد بيت الله للحج، والتي قد يهدف الكاتب من خلالها إلى إبراز إمكانية تغيّر المجتمع بتغير فكر أفراده، وأنّ هذه الأمة كتب لها الاجتماع بالرغم من كل ما يحيط بها من أساب التفرقة، فالطريق إلى الله هو الجامع وما لبيك إلى دليل على توحد الأمة في يوم من الأيام "فالظاهرة القرآنية هي مطالع

الأفق، و"لبيك" هي زاد المسار، وتبقى شروط النهضة خطة البناء التربوي إلى مرتقى المسيرة في وحدة الثقافة والاتجاه، بعد أن تصفي سلبية "القابلية للاستعمار" لترسم من جديد "وجهة العالم الإسلامي" في تضامن "الفكرة الآسيوية والإفريقية" التي هي المدى الذي يجد فيه العالم الإسلامي حضوره في العالم كله وهو يرث هزيم الحضارة الاستعمارية الغربية، وقد أوشكت بها النهاية، وتبقى سلسلة مشكلات الحضارة في كل ما أنتج بن نبي في مسار حياته في مصر وسورية وجزائر الاستقلال مجرد معالم إرشاد في "طريق لبيك""(مسقاوي، 2017، صفحة 14).

والمتأمل في تصدير الرواية ورسالة مؤلفها للناشر يجد أن "مالك بن نبي" كتبها في "عجالة وبين سفرتين في غرفة فندق"(خوليف، 2017، صفحة 14)، وهذا ما قد يثير الكثير من التساؤلات حول قدرة الكاتب على الإبداع في المجال الأدبي، فبالرغم من الظروف الزمنية والمكانية المصاحبة لكتابة هذه الرواية فقد استطاع "مالك بن نبي" الإبداع في السرد، وهو بذلك لم يكتفي بالكتابات الفلسفية والفكرية، وإنما صاغ هذه الأفكار في رواية قد تكون أقرب للقارئ، وهذا ما قد نستشفه حول أهمية الرواية في إعادة تشكيل وعي القارئ.

وإذا ما عدنا إلى موضوع الدراسة وهي الأمكنة الدينية في الرواية، نجد أن الفضاء الأساسي في هذه الرواية هو "مدينة عنابة" و"فضاء البحر"، و"باخرة الحجيج"، إلا أنه هناك فضاء آخر يمكن القول عنه هو "**الفضاء المأمول**" ويدخل هنا ضمن الأمكنة الدينية وعلى وجه الدقة هي زيارة مكة والمدينة، والمكان المأمول قد يكون له وقع أكبر في الرواية لما له من أثر في نفسية المتلقي خصوصاً إذا كان من الأمكنة المقدسة، لذا فالروائي هنا تعامل مع هذا المكان "كمكان منجز في نفس المتلقي استمد صفة القداسة، نتيجة أسباب محددة فقط بل بصفة مكاناً فاعلاً في الحياة اليومية لا يكف عن التفاعل وترك الآثار المطلوب فيها، وربما أسهم هذا في إعطاء المكان طاقة تعبيرية جديدة إذ يغدو حضوره أكثر أثرا، وتفاعلا مع عناصر الرواية الأخرى(الحسين، 2009، صفحة 129)".

"منذ ثلاثة عشر قرناً وفي كلّ سنة ينبجس النداء العجيب داخل أعماق النفوس، ليؤثر غالباً في البسطاء، فيستجيب الذين هم في أقاصي البلاد المسلمة:

(لبّيك، لبّيك).

إنّه هتاف الأرواح التي تقشعرّ عند سماع نداء هجرة ميمونة، فهو أشدّ غلبة من النداء العجيب الذي يتردّد في غريزة بعض الأسماك ليقودها في هجرة تزاوج نحو بقعة ما بعيدة حيث تتمّ معجزة تحوّلها وتكاثرها."

في كلّ عام أيضاً، يترك آلاف المؤمنين قطعانهم وحقولهم، ومتاجرهم أو خيامهم وينفصلون عن عائلاتهم للالتحاق بالرحلة المبرورة التي تقوم بها الأرواح المؤمنة".(بن_نبي، 2017، صفحة 14).

هكذا أراد الكاتب أن يصوّر لنا مشاعر المسلمين خاصة البسطاء منهم، ومدى وقع هذا النداء في قلوبهم، فالتلبية هي إجابة للطلب، وإِجَابَةُ الْمُنَادِي، إجابة لدعوة سيدنا إبراهيم قبل آلاف السنين حين أذن في الناس بالحج.بعد بناءه بيت الله المحرم "الكعبة المشرفة"، لتبقى هذه الأخيرة المكان الذي يهوى إليه أفئدة الناس ويجمعهم على مختلف شرائحهم وطبقاتهم، كما أن لمدينة رسول صلى الله عليه وسلم أثر كبير في نفوس المؤمنين حيث تحوي قبره الشريف وروضته الشريفة. وباعتبار قدسية هاذين المكانين فهما يمثلان مركز جذب للشعوب الإسلامية من خلال النداء العجيب "لبيك اللهم لبيك"، فهذي التلبية مرتبطة بزيارة المكان وإقامة الشعائر الدينية فيه، ونظرا لأهمية تلك الأمكنة، فقد بنى "ابن نبي" روايته عليها، بالرغم من ضعف في توظيف رمزية تلك الأمكنة، والقدرة على وصفها، إلا أنه جعل منها بؤرة الحكي ومركز استقطاب الجميع، وقد يعود قلة وصف تلك الأمكنة إلى المدة الوجيزة التي كتبت فيها الرواية، ولتجربة الكاتب الحديثة في هذا المجال، ولو أنه ركّز على تلك الأمكنة وبعدها التاريخي والروحي أكثر لكانت الرواية مكتملة من كل النواحي ولكان لها تأثير أوقع على المتلقي سواء العربي منه أو الأجنبي، خصوصاً ونحن نعلم أنّ الرواية الأصلية كتبت باللغة الفرنسية ثم ترجمت بعد ذلك إلى اللغة العربية، ورغم ذلك نستطيع القول أنّ "ابن نبي" استطاع أن يبرز أهمية تلك الأمكنة في نفوس المؤمنين خاصة منهم الفقراء والتي تعتبر بالنسبة لهم الملجأ الروحي الذي يخلصهم من ثقل الحياة وهمومها، فبالرغم المآسي والحروب ومحاولات الاستعمار المستمرة لطمس الهوية العربية والاسلامية، إلا أنّ تلك الأمكنة المقدسة تعتبر مركز التلاقي والوحدة، فالتاريخ مشترك والدين واحد، وهذا وحده كفيل بأن يكون منطلقاً لبناء أمة قوية، وما الحنين إلى تلك الأمكنة عبر مختلف العصور إلا دليل على ذلك.

"–إن شاء الله! ¨إن شاء الله! ادع لنا عند قبر الرسول..

– العام المقبل، إن بقينا أحياء.

– آه كم أتمنى أن أموت هناك!

هذه العبارات البسيطة تكشف عمّا تكنّه النفس المؤمنة من حنين إلى واد بعيد "واد غير ذي زرع"، حيث ترك إبراهيم ذريّته لكي يعبدوا الله. هذا الوادي الذي يدعو إليه دائماً، القلوب الرحيمة التي تشدّها الهجرة المبرورة كل عام. وفي هذه اللحظات حينما يتبادل الناس مثل هذه العبارات، كم من أعين للشيوخ والعجائز تفيض بالدمع.(بن_نبي، 2017، صفحة 30)

بهذه العبارات التشويقية أراد الكاتب أن يبدأ قصته بسطوة المكان، ودلالاته التاريخية والدينية مازجاً بين الحنين لتلك الأماكن كحقيقة واقعية، والسرد كفنّ تخييلي، فالرواية تعرف بأنها الفنّ الذي يُوفق ما بين شغف الإنسان بالحقائق وحنينه الدائم إلى الخيال، هذا الأخير الذي يلجأ إليه الإنسان من أجل الهروب من الواقع والذي يطمح إلى تغييره عبر مخيّلته التي تتيح له السفر بعيداً في عوالم مختلفة، بحثاً عن الذات المقيدة وبحثاً عن ممكن نرتقي به. والممكن هنا هو **"واد غير ذي زرع"** أين بدأت الرسالة المحمدية معلنة عن فكر نهضوي يجمع شتات العرب، ويدخل الأعاجم في رحاب الأخوّة والوحدة والعمل الجاد من أجل الدنيا والآخرة، ولا يمكن لنا التخلص من القيود المفروضة بأي حال من الأحوال إلا بالعودة إلى الأصل، مركز التلاقي والوحدة.

إنّ الرواية هي فضاء التخييل بامتياز كان لها شرف حمل لواء الإنسان في صراعه مع الحياة بحثاً عن حلول لمشاكله، ولأن الكاتب هنا هو من طينة المفكرين النهضويين الكبار فقد أراد أن يوصل رسالته عبر فضاء التخييل، لأنّ الرواية اليوم لم تعد المعبرة عن الذات وفقط، وإنما أصبحت المصورة لطموحات مجتمعاتها عبر مخيلة الروائي أو الأديب الذي يمتلك القدرة التخييلية واللغة التعبيرية فيصوغها في نص روائي تخيلي، والروائي هنا أو الكاتب هو ليس روائي أديب مثل البقية، إنّه من أعلام الفكر العربي والإسلامي ومن دعاة النهضة الفكرية، لذا فروايته هنا لا بدّ أن تكون انعكاس لفكره النهضوي الذي ما انفك يدافع عنه في مختلف المنابر العلمية، وقد وجد الكاتب في هذه الرواية ضالته للتعبير عن مكنوناته ورؤيته لمجتمعه المحبّ لدين الله وللأمكنة المقدسة، وإمكانية التغيير نحو الأفضل وذلك ما نجده متجسد في شخصية بطل الرواية "إبراهيم الفحام".

ويواصل "ابن نبي" سرد الأمكنة الدينية بوصف سير الرحلة والأمكنة الدينية في طريقها، لأن رحلة الحج تبدأ من انطلاق الرحلة، والحاج في هذه الرحلة يعيش أجواء روحانية متعلقة بالأساس مع تلك الأمكنة التي تسرد تاريخها وتنطق عن خلجاتها ومكنوناتها "فإذا كان السرد يشكل أداة الحركة الزمنية في الحكي فإن الوصف هو أداة تشكل صورة المكان، ولذلك يكون للرواية –أي رواية– بعدان: أحدهما أفقي

يشير إلى السيرورة الزمنية، والآخر عمودي يشير إلى المجال المكاني الذي تجري فيه الأحداث، وعن طريق التحام السرد، والوصف ينشأ فضاء الرواية"(خليل، 2010، صفحة 80).

"بالنسبة إلى الناس البسطاء من هذا المكان يبدأ الحجّ إلى الأراضي المقدّسة، إنّ طائفة من التفاصيل المتعرّجة تبدأ تسترعي اهتمام الحاج بدءاً من دخوله البحر الأحمر، فتذكره تارة بحدث ديني من الماضي وتارة منسكاً يجب القيام به.

وهكذا الحال مع أجيال من الحجيج، هكذا كانت تسمى (حفرة فرعون) حيث التاريخ المقدّس يشير إلى معبر موسى في البحر الأحمر، ويقولون إن فرعون مازال في هذه الحفرة حبيس الدّوامة إلى آخر الدهر. عند هذا المكان، وفي كل سنة يراقب الحجيج من فوق مركبهم (حفرة فرعون) وبعضهم يدّعي أنّه حقاً رآه.

من هذا المكان، يمكن أيضاً رؤية (جبل الطور) حيث كلّم الله موسى بالوادي المقدّس حيث رأى رسول بني إسرائيل (القبس)..."(بن_نبي، 2017، صفحة 41).

فالمكان في الرواية وخاصة الأمكنة الدينية تحمل دلالات مرتبطة بثقافة المجتمع ورؤيته للحياة، لذا نجد الروائي يوظف تلك الأمكنة لما لها من شحنات عاطفية تؤثر في المتلقي وتجعله يعيش روحانية تلك الأمكنة، وبهذا أصبحت الرواية الحديثة تتعامل مع المكان باعتباره مكوّناً أساسياً في بناء الرواية. فلم يعد المكان مجرّد مكان، وإنّما أصبح شخصيةً من شخصيات الرواية يبوح عن مكنوناته وعن التجربة الحياتية للشّخصيات التّي عاشت أو تعيش في فلكه باعتباره خزاناً للذّكريات، والشاهد على وقع الحياة. وهو بذلك يعتبر "عنصراً فاعلاً في البناء القصصي، وليس زائداً، يتَّخذ أشكالاً تحتوي مضامين عديدة، من خلال انعكاسه على عناصر العمل القصصي الأخرى، ويعكس المكان ما يدور بخاطر الشّخصيات من أحاسيس مفرحة، أو محزنة، أو شعورها بالأمن، والطمأنينة، أو الخوف، والقلق"(آبادي، 2011، صفحة 31).

كما نجد الروائي هنا يعتمد على السرد التاريخي المقدس المختلط بالأسطورة، لأنّ الأسطورة لم تفارق يوماً مخيّلة الفرد العربي، وهو أمر طبيعي عند البشر خاصة الفقراء منهم، وقد يريد الكاتب هنا أن يبرز اختلاط التاريخ المقدس (كما سماه) مع الأسطورة، وذلك للدلالة على الجهل الذي تقبع فيه الفئة العظمى من الشعب بسبب الاستعمار وسياسة التجهيل المتبعة، كما أنّ سرده لتلك الأماكن يدخل في السرد السياحي الديني، فبالرغم من أنّ الرحلة متوجهة للحج، إلا أنّ طريق الحج قد يكون مناسبة للتعرف

على مختلف الأماكن التاريخية الدينية التي ذكرها الله عزّ وجل في كتابه المبين أو سردت من قبل رسوله الكريم.

كل ما سبق قد يعبر عن البعد الأنطولوجي الذي أراد "مالك بن نبي" أن يسوقه إلينا من خلال التنقل عبر الأمكنة كمظهر للرحلة المقدسة، وإذا أردنا أن نأخذ بعين الاعتبار البعد الحضاري فإنّ مالك بن نبيّ قد جاوز هذا النص من خلال كتاباته اللاحقة في مشروعه الحضاري، والذي قسمه إلى عناصر لها من القابلية والقدرة على إعادة دفع عجلة الحضارة عند المسلمين، هذه العناصر تتلخص في: الانسان، التراب، الزمن، غير أن هذه العناصر لا يمكن لها أن تتفاعل فيما بينها إلا بالعودة إلى الفكرة الدينية وفي هذه الرواية عود على بدء وردة إيجابية نحو الماضي استلهاما لفكرة دينية صافية تعمل عمل المفعل الكيميائي الذي يمزج بين العناصر الآنفة الذكر ما اختفى بين ثنايا الروايا وأفصحت عنه كلماتها ومعانيها هو فعلا الفكرة الدينية متمظهرة في سلوك أشخاص وفي قداسة أمكنة وفي قيمة الزمن .

إنّ الرواية الحديثة وظفت الأمكنة توظيفاً شعورياً لأنها أدركت أهمية المكان في نفسية القارئ باعتباره خزاناً من العواطف والشحنات فلم يعد المكان مكانا جامداً وإنما أصبح شخصية من شخصيات الرواية له دور منوط به وله دلالات متعددة، باعتبار أن علاقة الإنسان بالمكان هي علاقة التصاق وتضام، فأصبح الروائي اليوم يتفنّن في توظيف الأمكنة من أجل تحفيز القدرة التخيلية لدى القارئ لأن "الكتاب يعبرون عن تجارب يعرفها القارئ مسبقاً ويستطيع أن يعبر عنها هو بنفسه إذا كان يملك المقدرة التحليلية والخبرة والتقنية الضرورية، وعندما يبلغ الكاتب هدفه، يكون هناك تطابق شديد بين وصفه والمثال الحواسي لقرائه نظراً لأنه يستحضر فيهم صوراً مكانية، ولعل هذه واحدة من الوسائل التي ترافق المكان الروائي في تحفيزه القدرة والطاقة التخييلية لدى القارئ، فهو مكان بنته الكلمات ودلالتها وما تبعثه في الذهن من صور وتخيلات"(عبد_المسلم، 2002، صفحة 113). تثير حاسة المتلقي وتجعله يعيش في تلك الأمكنة وفي فضاءاتها المتنوعة، فيكون هناك ربط ذهني مباشر بين تلك الأمكنة وما تخلفه من تداعيات على نفسية المتلقي باعتبار هذا الأخير ذو تجربة معاشة في تلك الأمكنة أو له خلفية تاريخية وروحية في نفسية القارئ تجعل منه مكانا مأمولا.

2-2 بيت المقدس وألم الاغتراب في رواية "سوناتا لأشباح القدس" لـ "واسيني الأعرج":

تعتبر القدس أو بيت المقدس من أهم الأمكنة الدينية على وجه المعمورة لما تكتسبه من روحانية لدى كل الديانات السماوية الثلاث (إسلامية، مسيحية يهودية) فهي مهد الديانات والحضارات الإنسانية وملتقى الصراعات الآنية، ولأنّ الرواية المعاصرة تشتغل كثيراً على قضية صراع الحضارات والقضايا الإنسانية فكان لابد لأن يكون لموضوع القدس مكانة في المتن الروائي العربي عامة والجزائري خاصة، إذ نجد الكثير من الروايات التي تطرقت لموضوع القدس من بينها نذكر أعمال: "أبو السعود عزام المقدسي" في رواياته "حمام العين"، "سوق العطارين "، "صبري ". وكذلك نجد "بن شداد بهاء الدين" في روايته "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية"، و"بدر علي" في رواية "مصابيح أورشليم... رواية عن إدوارد سعيد، و"لجنيدي أماني" في رواية "قلادة فينوس"، و"مهنا علاء" في رواية "مقدسية أنا".... وغيرها من الروايات الكثيرة التي تطرقت إلى القدس كمكان معاش وقضية إنسانية وحضارية.

أما في الرواية الجزائرية فنذكر رواية "سوناتا لأشباح القدس" لـ "واسيني الأعرج"، والتي قد تدرج في إطار روايات النكبة والتهجير القصري واعتمادها على عوالم الذاكرة. وقد كان فضاء القدس مسرحاً أساسيا لهذه الرواية، إذ نجده في العتبة الأولى للرواية "فمنذ العنوان "سوناتا لأشباح القدس" يرمينا الكاتب في قلب الحكاية، منذ هذه العتبة الأولى الخطيرة يعقد النص شرطه القرائي الأوّل كون الرواية نغما قدسيّا، سوناتا تتعقّب ذاكرة القدس، منذ العنوان تدهمنا القدس فنلج عوالم الرواية محمّلين بالاسم، مستعدّين استعدادا نفسانيّا سياسيّا ـ نحن القرّاء العرب على الأقلّ ـ لقصّة من قصص القدس، لحكاية من حكاياتها التي لا تنتهي، لنغمة في مقام قدسيّ يمكننا أو علينا أن نضيفه إلى سلّم مقاماتنا الشرقية نعزفه بلا توقّف حتى لا ننسى القدس ولا نواصل خذلانها ولا نغفر لأعدائها، هكذا يقول العنوان أو هكذا يريد أن يقول واسيني الأعرج وهو يضع القدس بوّابة رئيسية لروايته هذه. منذ العنوان تعلن الرواية عن خصيصتها البنويّة الكبرى كونها مزيجا متلوّنا من الفنون قبض العنوان على فنّين منها هما الموسيقى (سوناتا) والحكاية (أشباح القدس) وانبنى المتن على دوائر من الألوان واللوحات والريشات وأسماء المعارض ليكون فنّ الرّسم هو الفنّ الرّئيس الذي حاورته سياقات السّرد، وانبنت عليه وانعقدت عليه كثير من أسرار الكتابة كما ارتآها واسيني الأعرج."(الرميلي، 2012). وعندما ندخل في متن الحكاية يصادفنا من البداية المكان، ليحاول الروائي شدنا إلى روايته، لأنه يعرف جيداً ما للقدس من مكانة في نفوس القراء بمختلف مشاربهم الدينية والسياسية.

"عندما انتابني جدّي من أمّي "سيدي بومدين لمغيث الأندلسي" وأنا في غفوة على الجهة الأخرى من ساحل البحر الميت..(...)... جرّني وراءه وهو يسرع الخطى نحو حيّ المغاربة في عمق القدس، ليبني في نهاية المسلك، وراء حائط البراق، مقاماً جليلاً نام في حضنه بعد أن تعطّر ولبس برنسه بألوانه الزاهية ولم يستيقظ أبداً، في الأيام التي تلت، عندما زاره الذين عرفوا سرّه، لم يجدوا أثراً له – استغرب الجميع هذا الرحيل المفاجئ لرجل أحبّ القدس حتى صار لا يرى غيرها في الدنيا. قيل بعد سنوات من هذه الحادثة، انّه غضب ممّا كان يسمع من تمزّق أهل المدينة الذين تآلفوا عبر القرون. حتى أنّ هناك من سمعه يقول: الفلسطينيون، مسلمين كانوا أو مسيحيين أو يهوداً، تألموا كثيراً على هذه التربة، حتى أصيبوا بأقاصي الآلام المضنية، قبل أن يصلوا إلى شهوة المنتهى، ولهذا تتقاتل الأقوام ويضلون هم أوفياء لعقد الأنبياء الذين مرّوا على هذه الأرض. وقيل إنّه امتطى دابّته، وفي رواية أخرى، فراشته، ورحل عن المدينة التي خذله أهلها، بدون أن يلتفت وراءه، باتجاه بلاد المغرب ليموت للمرة الأخيرة على مداخل مدينته الاندلسية التي كانت تملأ رؤاه كلّما ضاقت سبل الدنيا عليه."(الأعرج، سوناتا لأشباح القدس، 2009، صفحة 7).

من خلال هذه المقاطع السردية ندخل عوالم الرواية ونبدأ بالتعرف على شخصياتها وأحداثها الدرامية، ولأننا لا نريد أن نخرج عن موضوع الدراسة سنركز على سطوة المكان ورمزيته، فالقدس –كما أشرنا سابقاً– هي الهم العربي وهي الشرخ الذي يغذي الصراعات بين شعوب المعمورة، والكاتب في هذه الرواية أراد أن يسلّط الضوء على قضية المهجرين "النكبة" وما يعانيه الفلسطينيون جراء ترحيلهم من أرضهم، وأية الأرض إنها قدس الأقداس أولى القبلتين ومسرى المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومهد المسيح عليه السلام، وقد تعمّد الروائي هنا إلى إبراز الأمكنة الدينية المدمّرة مثل حي المغاربة الذي دمّر على يد السلطات الإسرائيلية، هذا الحي الذي يعتبر رمزاً لتعلق سكان المغرب العربي بالقدس الشريف إذ "كانوا المغاربة يأتون الى القدس لفريضة الحج أو لطلب العلم. وكان دافع ثالث لا يقل أهميتهمن هذين السببين، وهو الاشتراك في الحروب الصليبية مع "صلاح الدين الأيوبي". فقد تطوع المغاربة فيجيوش "نور الدين"، وبقوا على العهد زمن "صالح الدين الأيوبي" إلى أن تحررت المدينة من سيطرة الصليبيين. بعد الفتح، اعتاد المغاربة أن يجاوروا قرب الزاوية الجنوبية الغربية لحائط الحرم أقرب مكان من المسجد الأقصى وعرفَانا منه، وقّف الملك الأفضل ابن صلاح الدين الأيوبي هذه البقعة على المغاربة سنة 583 1193هـ

(وهي نفس السنة التي توفي فيها صالح الدين بعد خمس سنوات من فتحه المدينة) بعد استرجاع القدس من الفرنجة في هذه السنة تزايدت أعداد المغاربة في القدس الشريف"(المقدسى، د ت، صفحة 71).

ولأنّ تغيير الأمكنة لا يغير التاريخ فقد بقي حي المغاربة معلقاً في أذهان سكان المغرب لتعلّقهم الشديد به كرمزية لتمسكهم بالانتماء إلى القدس بالرغم من البعد الجغرافي. ولأنّ الروائي هو كاتب جزائري كان لابد له من توظيف هذا المكان وقد أحسن توظيفه إذ ربطه بشخصية "سيدي بومدين لمغيث الأندلسي" هذه الشخصية التي كان لها باع في كتابة تاريخ أمكنة بيت المقدس، إذ قبل وفاته "أُضيفت أجزاء من قرية عين كارم التي تقع بضواحي القدس الشريف، وقرية إيوان التي تقع داخل المدينة القديمة إلى وقف المغاربة في القدس. كما أوقف أبو مدين سكنًا للواردين من المغاربة سمّي بزاوية سيدي أبي مدين الغوث، وجاء في وثيقة الوقف: «أوقفها بأموالها ومياهها وآبارها وسواقيها وسهلها ووعرها ومبانيها وقفًا لله يصرف للسابلة من المغاربة المارين والمنقطعين للعلم والجهاد المرابطين على وصية صلاح الدين الأيوبي"(بن_مسعود، 2018)، فالروائي هنا كما عودنا –واسيني الأعرج– في كتاباته يدخل التاريخ في التخييل ويمازج بينهما مزجاً رهيباً حتى يجعل من روايته التخييلية منطلقاً لمراجعة دروس التاريخ القاسية التي لا ننفك من قيدها.

من هنا فإنّ الرواية حينما توظف الأمكنة التاريخية أو الدينية فهو توظيف ينم عن رؤية كونية لتلك الأمكنة وما تحمله من حمولات عاطفية ووجدانية ودلالات متعلقة بالمجتمع وبالكون. وكلما أسرف الكاتب في عملية التخييل تزداد الحمولات الدلالية لتلك الأمكنة مما تجعل القارئ يتعلق بها وينجذب نحوها لا لكونها أمكنة خيالية وإنما لارتباطها بواقعه، فـ "باشلار" فيقول: "إن المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا، لا مباليا ذا أبعاد هندسية فحسب، فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكل ما في الخيال من تحيز، إننا ننجذب نحوه لأنه يكثف الوجود في حدود تتسم، بالحماية في كل الصور، لا تكون العلاقات المتبادلة من الخارج والألفة متوارية"(باشلار، 1987، صفحة 31). لذلك نجد الكاتب هنا يحافظ على التسميات الحقيقة للأمكنة بالرغم من تخييلية الرواية، كما نجده يستعرض المدينة التاريخية المفقودة بكل تفاصيلها القديمة وبكل تسمياتها الحقيقية:

"رأيت لحظتها أمي وراء ضباب الموت، رايتها بعينيّ هاتين اللتين لن تمسهما النار كما تقول مي، وهي تعبر شوارع المدينة، المندسّة خلف نثار الأجساد ورائحة البارود، تدور في الحارات زاوية زاوية، وباباً باباً: الحرم القدسيّ الشريف، قبة الصخرة، المسجد الأقصى، باب الرحمة، حارة

الشرفة وحارة اليهود في الجزء الجنوبي الشرقي من المدينة، وحارة المغاربة مع باب المغاربة، ثم حارة الأرمن وباب النبيّ داوود وجبل الزيتون، وحارة النصارى في الجزء الشمالي الغربي من المدينة وكنيسة القيامة والباب الجديد، وحارة السعدية وحارة باب الحطة."(الأعرج، سوناتا لأشباح القدس، 2009، صفحة 9).

هكذا فإنّ المكان في الرواية ليس مكاناً جامداً، وإنّما هو شخصية أساسية في حياتنا يعيش في ذواتنا، فينتقل من ماديته وواقعيته الجامدة، إلى عنصرٍ فاعلٍ يثير في وجداننا دلالات وذّكريات عميقة، لا يمكن الخلاص منها بأي حال من الأحوالخصوصاً إذا كان هذا المكان رحمي فهو يعكس نفسية الشّخصيات المحكية ونفسية المتلقي على حد سواء، وهو يستمد اسمه من معناه فهو "يشبه رحم الأم (...) مثل بيت الطفولة، والقرية، ويظل عالقاً في الذّاكرة طوال العمر"(النابلسي، صفحة 16)، ولا يمكن أبداً أن نخرج القدس من كونه مكاناً رحميّاً لأنه مهد الحضارات الانسانية، وله علاقة وطيدة بالإيمان الديني والسيرة النبوية، لذا نجد الروائي هنا يوظف فضاء القدس على أنه مكانا رحمياً للبطلة من أجل ربط المتلقي بتلك الشحنة العاطفية الدفينة في وجدانه، فالعلاقة بين الصّورة المحكية والصورة الذهنية، تولّد الفضاء التخييلي مشبّعاً بالدلالات المتعدّدة المرتبطة بالمتلقي وما تفرزه تلك الفضاءات من حالات نفسية تنساب معها الذّاكرة ويتدفق عبرها الوعي ليمرّر من خلالها الروائي نظرته للعالم وللكون.

فالروائي هنا أراد أن يؤرخ لتلك الأمكنة وما كانت تمثله من صور لتعايش حضاري بين مختلف الأطياف والأديان سواء الإسلامية أو المسيحية أو حتى اليهودية، فبالرغم من الاختلاف الإيديولوجي والصراعات الدينية إلا أن القدس كانت وما زالت رمزا للتعايش الانساني، بالرغم من محاولة تهويدها اليوم وتهجير ساكنيها الأصليين الذي لم ينفكوا التعلّق بها جيل بعد جيل لرمزيتها الدينية، "فالمدينة بوصفها ظاهرةً مكانيةً عميقة، الفضاء الأبرز في المجتمع الإنساني الحديث، يرتبط بها الإنسان بعلاقة جدلية، ويلجأ للعيش فيها . إنها وجوديتعدى حدود الجغرافية الواقعية ليكون مكاناً ذا وجهين، الأول هو الإطار الخارجي لظواهره المادية المعيشة، وأما الثاني فهو الجانب الروحي العميق للمدينة الذي يجعلها مكانا زمانياً، يثير بساكنيه إحساساً عميقاً بالمواطنة، والتماهي مع واقعه وماضيه، ومع هموم ساكنيه ومطامحهم فالمدينة بأماكنها المختلفة تحضر في فكر ساكنها واقعاً ورمزاً وتاريخاً قديماً آو خر معاصراً وحقيقة وخيالاً، لأنها الكيان الذي ي تلمّسه الإنسان ويراه، والكون المهجور الذي أغرقته سديمات لانهاية لها"(ياسين، 1986، صفحة 18).

"... هذا هو بالضبط مفصل السوناتا التي تجسّد أحلام مي وهي تفتّش في جرحها عن لون لمدينتها المسروق. الزرقة النيليّة. أنتم لا تعرفون القدس جيداً... القدس خبز الله وماؤه. مدينة تكفي الجميع، قلبها واسع، دينها كبير، إيمانها متعدّد وأشجارها تغطّي كلّ العرايا ومراياها ليست عمياء وحيطانها ليست للبيع. صرخة مي الدائمة كلّما هاجمتها الذاكرة وانغلقت عليها سبل الدنيا. لم تكن بعيدة إلا بالقدر الذي يهز صمتها بشكل تستطيع تحملّه"(الأعرج، سوناتا لأشباح القدس، 2009، صفحة 33).

هكذا أراد الروائي أن يصوّر مدينة الأنبياء، مدينة تتسع للجميع، فهي ملتقى الديانات السماوية، لا يمكن بأي حال من الأحوال بيعها أو التخلي عنها لأنها متعلقة بالذات والوجدان، وهو يلمّح صراحة بالجرائم الإسرائيلية اتجاه مدينة القدس، إذ عمدت تلك السلطات إلى تهويد مدينة القدس ومحاولة تدمير المقدسات الإسلامية، وهذا يعد موقفاً مناصرا للقضية الفلسطينية، إذ يصرح "واسيني" في المقابلة الصحفية بأنه يكتب في روايته عن القدس، وهو لم يزرها رغم امتلاكه الجنسية الفرنسية التي تمكنه من ذلك؛ خوفا من أن يعدّ ذلك نوعاً من التطبيع مع المحتل(الأعرج، هكذا تحدث واسيني الأعرج)، والأمر نفسه نجده عند شخصيته الروائية ميّ المغربي فعندما تتاح لها فرصة زيارة القدس برفقة زوجها الألماني الأصل (كوني) ترفض ذلك، لأنها ترى أن القدس التي تعرفها هي قدس طفولتها قبل رحيلها عنها، وهي ابنة ثمانية أعوام، سنة 1948م، وبأن القدس لم تعد كما كانت، بل إنها ماتت مع موت من أحبت هناك، أما القدس الحالية فأصبحت تسكنها أقوام وأجناس أخرى لا صلة لها بالمكان"(الأعرج، سوناتا لأشباح القدس، 2009، صفحة 383).

وهكذا فإن الروائي هنا بجعله فضاء القدس هو الفضاء الأساسي في رواية وعتبة من العتبات الأولى للرواية فإنه أراد تسليط الضوء على معاناة المهجرين الفلسطينيين، وإظهار أهمية تلك الأمكنة الدينية ليس في وجدان الفلسطينيين فحسب وإنما في وجدان كل عربي مسلم أو مسيحي، لأنّ"السرد باعتباره أداة التشخيص الأولى يشكل قوة ضاربة في مجال التواصل والإقناع والسيطرة على كل المناطق الانفعالية داخل الذات الإنسانية"(بن_كراد، 2008، صفحة 283).

خاتمة

في ختام بحثنا هذا نودّ أن نذكّر بأنّ الرواية الجزائرية خاضت في كل المضامين السياسية والثقافية والاقتصادية والدينية، وكان لا بد بمكان أن يكون للأمكنة الدينية المقدسة مجال فيها، باعتبار أنّ الشعب الجزائري هو شعب متدين بطبعه يميل إلى زيارة تلك الأمكنة لما لها من وقع في نفوسهم، وباعتبارها أمكنة روحانية مقدسة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحياتهم الدينية لذا نجد توظيف تلك الأمكنة هو توظيف ينم عن الشوق لزيارة تلك الأمكنة لدى الذات القارئة، ويجعل منها أمكنة من شأنها خلخلة الطمأنينة المزيفة التي يعيش في كنفها القارئ، وتجعل من ذاته طائراً يحلق بعيداً في رحابها تاركة ورائها هموم الحياة وثقلها.

قائمة المراجع:

المؤلفات:

- إبراهيم خليل. (2010). *بنية النص الروائي*. الجزائر: منشورات الاختلاف.
- ابو شامة المقدسي. (د ت). *الروضتين فى اخبار الدولتين النورية والصالحية*. بيروت.
- السعيد بن_كراد. (2008). *السرد الروائي وتجربة المعنى*. الدار البيضاء المغرب: المركز الثقافي العربي.
- النصير ياسين. (1986). *الرواية والمكان*. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
- حسن بحراوي. (2009). *بنية الشكل الروائي الفضاء-الزمن-الشخصية*. الدار البيضاء المغرب: المركز الثقافي العربي.
- حميد لحميداني. (1991). *بنّية النص السّردي (من منظور النقد الأدبي)*. المركز الثقافي العربيّ للطباعة والنشر والتوزيع.
- زيدان خوليف. (2017). *رواية لبيك حج الفقراء لمالك بن نبي*. دمشق: دار الفكر.
- سيزا قاسم. (دس). *بناء الرواية-دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ*. سلسلة إبداع المرأة.
- شاكر النابلسي. (بلا تاريخ). *جماليات المكان في الرواية العربية*. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- طاهر عبد_المسلم. (2002). *عبقرية الصورة والمكان – التعبير والتأويل والنقد*. عمان: ، دار الشروق للنشر والتوزيع.
- عبد الملك مرتاض. (1998). *في نظرية الرواية*. الكويت: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون.
- عمر مسقاوي. (2017). *رواية لبيك حج الفقراء لمالك بن نبي*. (زيدان خوليف، المترجمون) دمشق: دار الفكر دمشق.

- غاستون باشلار. (1987). *جماليات المكان.* (غالب هالسا، المترجمون) لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- مالك بن_نبي. (2017). *لبيك حج الفقراء.* دمشق: دار الفكر.
- محبوبة محمدي محمد آبادي. (2011). *جماليات المكان في قصص سعيد حورانية.* دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة.
- محمد بوعزة. (2010). *تحليل النّص السردي -تقنيات ومفاهيم.* الجزائر: منشورات الاختلاف.
- محمد عزام. (1996). *فضاء النص الروائي.* اللاذقيّة، سوريّة: دار الحوار للنشر والتوزيع.
- واسيني الأعرج. (2009). *سوناتا لأشباح القدس.* بيروت: دار الآداب.

المقالات:

- أحمد جاسم الحسين. (2009). الرواية العربية الجديدة وخصوصية المكان، قراءة في روايات رجاء عالم. *مجلة الجامعة دمشق*، صفحة 129.

مواقع الانترنيت:

- عبد القادر بن_مسعود. (18 7, 2018). *شيخ الشيوخ» أبو مدين الغوث.. المتصوّف الذي قاد جهاد المغاربة في القدس.* تم الاسترداد من موقع ساسة: https://www.sasapost.com/abu-madien-al-ghaouth/
- آمنة الرميلي. (9 أكتوبر, 2012). *سوناتا لأشباح القدسُ لواسيني الأعرج: الذاكرة ولعبة الكتابة.* تاريخ الاسترداد 1 2, 2021، من مجلة القدس العربي: https://www.alquds.co.uk/
- الأعرج ,و. (.s.d.). *هكذا تحدث واسيني الأعرج.* Récupéré sur موقع باب الماد –العالم العربي. http://www.arabicbabelmed.net/litterature/38-general/ :